

إذا كان شعب اليمن الجنوبي يرغب في الانفصال عن وحدة اليمن التي شارك في إقرارها بنفسه عام 1990 فلا بد من احترام رغبته لأنه الأدرى بمصلحته وبظموحاته وبتثبيت شخصيته المستقلة، ولماذا لا يتم الانفصال بالحسنى والتفاهم بدلاً من القتل والتدمير وإفقار الشعب اليمني في الشمال والجنوب واستنزاف طاقتهم الإنسانية وشرورتهما القومية من أجل وحدة تقوم على الدم وأشلاء المقتل؟. فمثل هذه الوحدة، بل أي وحدة أخرى تقوم على العنف مصيرها الفشل والإنشطار آجلاً أم عاجلاً، فالحرب وخاصة بين الشعوب ذات الخلفية العصبية والمقبلية تزرع من المضغائن ونزعات الثأر والانتقام ما لا ينسى بسهولة، وما لا يخدم الدوام والطمأنينة والاستقرار.

ولماذا تدمر العاصمة عدن ومدن وقرى يريد أهلها العيش في ظل علم خاص بهم وليس تحت أي علم آخر حتى لو كان لهم في تشكيلة وصنعه دور سابق؟ لقد وافقوا على الوحدة مع الشمال في عام 1990 ثم رأوا بعد التجربة أن الاستقلال بذاتهم أفضل لهم، فلماذا يسد الحكم في الشمال الطريق عليهم بالانفصال بين الأخوة؟ وهو إثم ومضرة وسابقة خطيرة لا يقدم عليها إلا من نزع من قلبه مشاعر الرحمة ليس نحو أخيه وجاره وأقرب الناس إليه فحسب بل نحو نفسه ومجتمعه وأمتة العربية وأمانيتها القومية. والوحدة التي تقوم بالقوة لا تجدي ولا تدوم، بل تبقى أسيرة القلق وتطورات الأحداث والظروف لكي تنقسم على نفسها وليعود كل شيء إلى أصله ومنبته وعاداته وتقاليده لتسيير شؤون إدارته ومعيشتة حسب رغبته.

وعلى المسؤولين في اليمن شماله وجنوبه تذكر تاريخ الوحدات في القرن العشرين لأخذ العبرة منها وتذكيرهم ببعضها لعل الذكري تردع المتقاتلين.

لقد سبق وشكلت باكستان وبنجلاديش وحدة بينهما، ولما أرادت بنجلاديش الاستقلال بنفسها ثم منعت عليها باكستان هذه الرغبة في الاستقلال باستعمال القوة، لم يفض استعمال القوة إلا إلى إصرار بنجلاديش على الانفصال وكان لها ما أرادت في نهاية المطاف، وهي الآن دولة مستقلة معترف بها من جميع دول العالم وتقيم علاقات ودية مع باكستان في جو ملائم لمصالحها الذاتية والمشاركة.

وكانت تشيكوسلوفاكيا تتألف حتى وقت قريب من شطرين موحدتين. التشيك و سلوفاكيا، ثم رأى أهل الشطر السلوفاكي أنهم يفضلون الاستقلال بذاتهم على الوحدة مهما كان لها من المزايا والمشوقات وقد فعلوا ذلك بالحسنى والكلمة الطيبة وتم تقسيم تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين جارتين مستقلتين.... وليس ثمة شك بأن العلاقات بين الشعبين الآن هي أحسن مما كانت عليه في السابق فلا سيد ولا مسود ولا كبير

يتقاوى على من هو أصغر منه أو قوي يتسلط على من هو أضعف منه أو غني يتعالى على من هو أقل حظاً في الثراء منه، بل مساواة في التعامل واحترام في الجوار وتعاون في المصالح المشتركة لخيرهما معاً. وفي التاريخ العربي المعاصر كانت مصر تنادي بوحدة وادي النيل، مصر والسودان، وكم وكم ثارت من الخلافات ووقعت من الاحتكاكات بسبب ذلك، حتى رأت مصر بالمقام الأول، وهي الدولة الأقوى والأغنى، إن الخير والبركة والمستقبل هي في التنازل عن مقولة وحدة النيل بإفساح المجال لقيام دولة سودانية شقيقة تدير أمورها بنفسها وفقاً لما يرضى به شعبها ويرى فيه مستقبله كيفما كان الأمر، فإذا رضى فبقناعه، وإذا لم يرضى فبقناعه واقتناع أيضاً وله كلمته الأخيرة.

ولما ندخل هنا في تفاصيل الوحدات التي أقيمت في الشرق الأدنى بتهليل وتكبير ثم انفصلت بشكل من الأشكال التي يحتفظ التاريخ بصورها ونتائجها، فهناك الوحدة السورية-المصرية ثم الوحدة الأردنية-العراقية وبعدها وحدة مصر وسورية وليبيا، وقبل كل ذلك الوحدة الأردنية الفلسطينية التي استمرت قرابة ستة وثلاثين عاماً ثم رأى الأردن الانفكاك عنها لأسباب سياسية تتعلق بمستقبل القضية الفلسطينية وما هو الأردن يدعم قيام الدولة الفلسطينية على التراب الفلسطيني بكل ما يملك من المساندة والتأييد.

وفي العشرينات من القرن الحالي قامت أيرلندا الشمالية تطالب بالانفصال عن الإمبراطورية البريطانية التي كانت في جوزاء قوتها العسكرية والمادية ولكنها رضخت في نهاية الأمر للموافقة على قيام جمهورية أيرلندا المستقلة.

هذه بعض من جوانب أحداث التاريخ العربي وغير العربي، وهناك الكثير من أمثاله الذي يدفع الإنسان للتساؤل لماذا يصر اليمن الشمالي على وحدة لا يريد لها شقيقه وجاره اليمن الجنوبي ثم يستدير الشمال للانقضاض على الجنوب الأضعف ويقاقله ولا يريد أن يخضعه بقوة السلاح وحملات التدمير والإفقار والتشريد وزرع المضغائن إلى أبد الأبدية، وأمام الشمال عبوة أقدم العراق على الوحدة مع الكويت بشن حملة عسكرية على الدولة الكويتية الأقل نفراً من العراق والأقل استعداداً عسكرياً وقدرات وخبرات عربية.

وماذا كانت النتيجة غير الخراب الأخوي والمادي وسوى تشريد شعب الكويت وتدمير الكثير من مرافقة، ومن ثم تدخل مجلس الأمن الدولي لإعادة الاستقلال إلى الكويت.

وهل ثمة ما يمنع قراراً يصدر عن مجلس الأمن الدولي من اتخاذ قرار لمعاملة اليمن الشمالي معاملة اليمن الجنوبي؟ وعندئذ ما أغنى الشمال عن فرض الوحدة بالقوة وما أغناه عن خوض حرب ستؤول حتماً إلى اقتتال داخلي واسع المدى تساعد على استفحاله واشتعاله الخصائص الجغرافية لبلاد اليمن شمالاً وجنوباً ونزعات الحقد والمثأر والانتقام. وما بد لصنعاء من أن تعود المشيقة التي تتوقف عن تدمير وقهر شقيقتها عدن بالقمع والتدمير وأن تصيح بالمقام الأول لوساطة مجلس الجامعة العربية ولوسيط الأمم المتحدة الأستاذ الأخضر الإبراهيمي الشخصية العربية الدبلوماسية ذات المخلق والخبرة لحصر النزاع والمقتال بوساطة عربية ثم تسوية الأمور بين شطري اليمن بالحسنى والتفاهم.

إن الوحدة بين قطرين عربيين أو أكثر أمنية كبرى من الأمن في المراحل والاضد العربية التي تقوم حياتها وحضارتها على العقيدة الراسخة في الدين الإسلامي الحنيف. ولكن الوحدة المأمولة لا تتحقق بالشعارات حيث ثبت أن الشعارات هي أكثر العوامل خطراً في شتى الوحدات العربية التي سبق قيامها. وهذه هي ظروف الحياة ومستويات النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في العالم العربي ما تزال بحاجة قصوى للترسيخ في الأقطار العربية لكي تنسجم حياتها العامة في ذلك التكامل الذي يحفظ لكل قطر شخصيته وبنيتها الداخلية ليكون واثقاً من نفسه حيث التعامل والتفاعل مع أي قطر آخر ومحتفظاً بتقاليد و تكويناته الداخلية، وربما نجد المثال والنموذج في بريطانيا التي تضم اسكتلندا وويلز وإنكلترا وأيرلندا الشمالية فهي تتفق على أسس محدده وتقيم الوحدة بينها وعلى احترام خصائص كل قطر من أقطارها فسان وويلز لا يزالون يتمسكون بلغتهم الأصلية وسكان اسكتلندا لهم عاداتهم وحتى ندهم الخاص باسمهم ولكنهم يتحدثون في سبيل المصير المشترك والاحترام الوثيق المتبادل بلغة التعاون والتفاهم وتقدير كامل لرغبات وظروف كل إقليم من الأقاليم البريطانية. وأخيراً فإن أهل اليمن الجنوبي إذا أرادوا الاستقلال بذاتهم فإن القوة لن تجبرهم على وحدة لا يريدونها وما هم يقاتلون لأنهم لا يريدونها.

والفكر والتدبير والتفهم يجب أن ينطلق من الجانب الأقوى لكي يكف عن فرض إرادته بالقوة حيث الحصيلة النهائية ستكون هزيمة المهدف وخراب اليمن وتعايسة اليمنيين الذين يستحقون في شطريهم الشمالي والجنوبي تنمية قدراتهم الذاتية لنصرة شعبهم بالازدهار والعمران والتقدم، وما نحن إلّا مع الحق والمنطق وعبر التاريخ والأمني العربية بأن لا تقوم وحدة إلّا عن قناعة راسخة وتقدير واحترام متبادلين ومتكافئين لئلا يطغى فريق على آخر ثم تزول الوحدة وتتلاشى دوافعها إلى غير رجعة. يؤلمنا القتال في اليمن ودواعها هو الرجوع بالحق وما كان الرجوع إلّا فضيلة إنسانية وإلهية لا يمكن إنكارها أو جحودها.

المكاتب الأردني: علي الدجاني نقلًا عن صحيفة المشرق الأوسط 1 / 7 / 1994م